ومع تراجع سلطة آباء الكنيسة في الفترة الثانية من العصور الوسطى وظهور بعض اللمحات الواقعية في الأسلوب الفني وخاصة في أدب المدن برز تيار جديد في الفلسفة الجمالية ونظرية الفن كان من ابرز ممثليه الراهب الايطالي توما الاكويني (١٢٢٥ – ١٢٧٤) .

تأثر التيار الجمالي الجديد بالفلسفات اليونانية وخاصة بفلسفة افلاطون وتعاليم ارسطو التي حاول توما الاكويني ان يكيفها مع فلسفة الدين .

لقد عاش توما الاكويني في فترة أخذت فيها رمزية العصر الوسيط تعاني الانهيار التدريجي ولذا يجد نفسه مضطرا إلى تبرير هذا الانحراف عن الرمزية ، فهو يعلن مثلا (ان الجميل هو الادراك نفسه الذي يسبب المتعة) ويقول : « الشيء الجميل هو الشيء الذي اذا رأيناه اعجبنا به » .

ان اسمى أنواع الجمال هو جمال الله وبلوغ هذا الجمال ممكن عن طريق الاتحاد بالذات الالهية فقط . ومع ذلك يشير الاكويني إلى أن للجمال مكانه في عالم الأشياء المحسوسة أيضا . ويضع الراهب الايطالي للجمال المحسوس ثلاثة شروط :

١– الوحدة أوالكمال فالأشياء المتضررة أوالمجزوءة قبيحة في نظره .

٢– الانسجام أوالهارمونية .

٣– السطوع أوالوضوح .

(الأشياء المطلية بألوان زاهية جميلة ...) . هنا يبتعد توما الاكويني في نظراته الجمالية عن القديس أوغسطين الذي كان ينطلق من الجمال المطلق الكائن فوق المشاعر . غير أن نقطة انطلاق توما الاكويني الروحانية في تقويمه للجمال سدت الطريق امام وصوله إلى فهم صحيح للفنون التي عاصرته (العمارة ، الموسيقى ، فن الكلمة) .

يجدر بنا الآن ونحن نختتم حديثنا عن النظريات الجمالية في العصور الوسطى أن نذكر بأن هذه النظريات كانت دون مستوى الفن بكثير . ولذا يخطىء من يبني فكرته عن الأدب والفن في العصر الاقطاعي على أساس مؤلفات القديس أوغسطين وتوما الأكويني . ففي نظرات هذين المفكرين لم ينعكس سوى خط واحد لتطور الأدب والفن الا وهو خط تطور الفن الكنسي الذي قادته الكنيسة الكاثوليكية المسيطرة .